



في البلاغة العربيّة عِلم المعاني

دكتور محمود أحمد نخله



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

فهذه محاضرات في علم المعاني ألقيتها على طلاب السنة الأولى بقسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة بيروت العربية ، أردت بها أن يكون الطلاب على ذكر من علم من علوم العربية اتضحت له قواعد وحدود ، وتميزت له أصول وفروع على يد السكاكي الذي منحه اسمه ، ورفع قواعده ، وجعله واحداً من علوم البلاغة ، وقفى على أثره الباحثون ، فترسموا خطاه بين شارح وملخص ، ثم شارح لملخص ، وأخذت الشواهد تتكرر ، والأمثلة تتردد ، قوالب محفوظة ، ونماذج مرعية .

ولقد نشأ هذا العلم غصاً يانعاً موصول الأسباب بإعجاز القرآن الكريم ، إذ شرح الله صدر فريق من العلماء إلى أن القرآن معجز بنظمه ، فمضوا يبحثون في هذا النظم المعجز كيف يكون ، إلى أن قيس الله لهذا الأمر عالماً من أكابر النحاة استطاع ببصر نافذ ، وثقافة نحوية عريضة ، وذوق أدبي رفيع أن يتلقى اللواء عن هؤلاء الأعلام ، وأن يدفع الدرس النحوي دفعة جديدة تستكمل النقص فيه ، وتلفت إلى أهم الجوانب التي أغفلها جمهور النحاة في دراسة الجملة ، ذلكم هو عبد القاهر الجرجاني .

وكان الرجل قد استطاع أن يدرك أن علم النحو لا يكفي فيه أن يكون علماً تعرف به أحوال أواخر الكلمات إعراباً وبناء ، وإنما هو علم نظم الكلم وما يتصل به ، في ضوء المعنى ، من نظام ترتيب الكلمات في الجمل ، ومقاصد التقديم



دار العلوم العربية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

الناشر

دار العلوم العربية

للطباعة والنشر
مقابل جامعة بيروت العربية
بنارة عنان
صافى: ٣٠٧١٢٣
صوب: ٩٥٣٥ - ١١
بيروت - لبنان

الطالب كما وردت في كتب التراث من جهة ، ولتتعرف أساليب علمائنا القدماء وطرائقهم في معالجة القضايا وطرائق التعبير من جهة أخرى .
والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه ، وأن ينفع به ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

د . محمود أحمد نحلة

الباب الأول علم المعاني : النشأة والمنهج

الفصل الأول

إعجاز القرآن ونشأة علم المعاني

نزل القرآن الكريم - حين نزل - معجزة بيانية كبرى على قوم ذوي فصاحة وبيان فكان منهم الشعراء النوايغ ، والخطباء المصاقع ، ونقدة الكلام ، يلتقون كل عام في سوق عكاظ في مهرجان شعري حافل يتبارى فيه الشعراء والخطباء ، ويعرض الناشئون منهم شعرهم على النابهين ، فيحكمون لهم أو عليهم ، فمن حكموا له ذاع صيته ، ومن حكموا عليه انكسر وانقطع .

من ثم عرف من الشعراء جماعة على رأسهم زهير بن أبي سلمى سموا « عبيد الشعر » لأنهم كانوا يعمدون إلى ما ينشئون فينقحونه ويهذبونه ، ويرجعون النظر فيه مرة بعد أخرى حتى تخرج أبيات قصائدهم على درجة واحدة من الجودة والاستواء والتناسق ، وقد سميت قصائدهم بالحوليات . قال الأصمعي : « زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر ، لأنهم نقحوه ، ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين » . وقال الجاحظ : « ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريئاً (تاماً) ، وزمناً يردد فيها نظره ، ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه اتهاماً لعقله ، وتتبعاً على نفسه ، فيجعل عقله زمناً على رأيه ، ورأيه عياراً على شعره ، إشفافاً على أدبه وإحرازاً لما خوله الله تعالى من نعمته ، وكانوا يسمون تلك القصائد « الحوليات » و « المقلدات » و « والمنقحات » و « المحكمات » ليصير قائلها فحلاً خنذيلاً ، وشاعراً مفلقاً .

وما كان ذلك إلا رغبة من هؤلاء الشعراء في نقد أنفسهم قبل أن ينقدهم سامعوه ، وفي هذا دليل لا شك فيه على بلوغهم ذروة عليا في بلاغة القول وأساليب البيان .